

النشاط الثقافي في الوطن العربي

من
مراجعات
"الأداب"

الى مدرسة ، من الصبح حتى المساء ، والكتاب بيده ، يلقي على طلابه الذين لا يحصى لهم عد ، ما يكون في سهراته الطويلة في الليل ، قد اختار من مطالعته ، أفيدتها وانفعتها لهم ... فاذا قلت ان ريفنا المحبوب ، هو العطاء ، فلست أحسب ان أحدا لا يوافقني ، على ما أقوله فيه .

لقد عرفت الكثيرين من طلاب ريف خوري ، يندبون حظهم ، لحرمانهم من هذا العلم ، مدة مرضه ، ويدعون الى الله ألا تطول مدة غيابه عنهم ، فيعود ، ويعطيهم ما لا يعطيه أي معلم غيره .

ان ريف خوري ، الاديب الملتزم .. الملتزم الفكر التقدمي الحر .. لا يساوم ولا يدهان .. كلمته تنبع من صميم نفسه ، يقولها بجرأة نادرة واخلاص ليس أكثر منه اخلاص .. انه مع فقره المادي ، أغنى الاغنياء في تمسكه بالحرية .. حرية الرأي ، وحرية القول ، وحرية الكلمة .. راضيا بفقره المادي ، ليرى الحرية تتوج وطنه .

افضى أمانينا ، الا تطول مدة غيابه ، عن الذين يعلقون آمالهم عليه ، وهم كل من يحبون لبنان .

ج.ع.م.

لرأسلة « الآداب » الخاصة

بين الإدارة .. والخلاق الادبي

أجريت في الايام القليلة الماضية حركة تنقلات في قيادات المراكز الثقافية لم تتبين أسبابها بعد . وقد كان أهم اجراءاتها انتداب الاستاذ محمود أمين العالم رئيسا لمؤسسة المسرح والموسيقى ، بدلا من الدكتور علي الراعي الذي نقل مستشارا لوزير الثقافة وعميدا للمعهد العالي للفنون المسرحية .

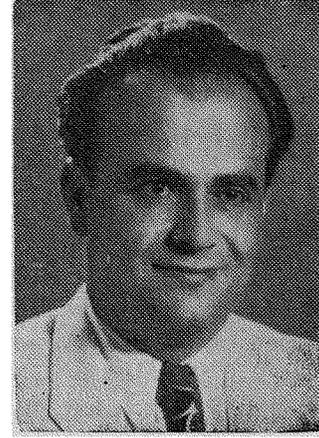
وكان الاستاذ محمود أمين العالم قبل نديه رئيسا لمجلس ادارة دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، وللهولة الاولى نجد ان نـسب العالم كسب كبير لمؤسسة المسرح بلا شك ، ولكننا اذا أمننا النظر وجدنا اننا نخسر بهذا ناقدا ومفكرا من كبار كتابنا ونقادنا . فقد أترى العالم حياتنا النقدية - قبل هذه المناصب - باضافات قيمة ، وهو كاتب يجب أن يكون همه الاوحد ، كما قال أحد الفلاسفة : « أن يكون صانعا أولا وأخيرا للكتب » .

والحق انه اذا استمر استبقاؤنا للمفكرين في مراكزنا الادارية فستصاب الحركة الفكرية بالعقم ، ولعلنا لن نكسب من وراء ذلك اداريا ناجحا ..

عندما كان نجيب محفوظ رئيسا للجنة القراءة بمؤسسة السينما شاهدناه في لحظات لا يحسد عليها .. فقد كان يسقط في حيرة عميقة اذ كنا نتجادل في تقييم عمل أدبي لاحد القصاصين المشهورين وصلاحيته او عدم صلاحيته للانتاج السينمائي . كان يتخرج من ابناء رأيه ويضع نصب عينيه ان لهؤلاء الكتاب مدارس وجهودا ، فيحاول

لبنان

تكريم ريف خوري



أعلنت جمعية أصدقاء الكتاب في لبنان انها منحت جائزتها الاولى (جائزة رئيس الجمهورية اللبنانية) لهذا العام الى الاديب الكبير الاستاذ ريف خوري ، تقديرا لجهوده في الحياة الادبية في لبنان . وقد توجه وفد من أعضاء الجمعية الى قرية « نايبه » التي ينزل فيها الاستاذ خوري ملازما الفراش منذ فترة من الزمن ، وأبلغه نبا منحه الجائزة وسلمه شكرا بمبلغ خمسة الاف ليرة لبنانية ، قيمة الجائزة . ويبدل فريق من الادباء جهودا مختلفة لمساعدة الاديب الكبير في مرضه وتقديم المعونة لاسرته ، كما يتوافد المفكرون والادباء الى منزله لتمني الشفاء العاجل له وعودته الى حياة الفكر والادب والتعليم وهي حياة حافلة بكل مكرمة وعطاء .

وقد كتب الدكتور جورج حنا في جريدة « لسان الحال » يعلق على منح الجائزة فقال : « الشكر لجمعية أصدقاء الكتاب ، لمنحها ريف خوري جائزة رئيس الجمهورية ، التي هي أرفع جوائزها .

والتهنئة هي ايضا لهذه الجمعية ، اذ وجد في « بلد الإشعاع » بعد طول الانتظار ، هيئة ذات صفة رسمية ، تقدر الادب ، وتكافئ الاديب ، على ما يعطيه للناشئة اللبنانية من زاد المعرفة . وليس من أعطى من هذا الزاد أكثر من ريف خوري .

ان هذا الاديب الكبير الذي اسمه ريف خوري ، ليس كغيره فقط فيما وضعه من مؤلفات ، وما كتبه في الصحف من مقالات .. بل ما زاده كبيرا ، تكريس حياته لتزويد الناشئة اللبنانية بالمعرفة ، من معرفته هو .. والمعرفة هي من بين سائر الرساميل ، أغلاها وأجلها سائدا فائدة ، ليس لصاحبها فقط ، بل لهذا الوطن العزيز .

ان ريف خوري « المعلم » ، ما كان يترك ساعة من ساعات نهاراته تمر ، دون ان يعطي من عمق معرفته ، ما يزود أبناء وطنه ، الذي ما أحب على قلبه منه وطن ، بزاد العلم والمعرفة .. يتجول من مدرسة

جعلتهم يركنون الى الراحة ؟

من الواجب أن يتفرغ هؤلاء الى أعمالهم وان تنظر لجان التفرغ في بفرغهم حتى لا يركنوا الى المناصب الادارية وتحترم البلاد من طاقاتهم .

ومن المطمئن أن نجد كتابا مثل الدكتور جمال حمدان ، استطاع أن يحافظ على ملكاته الإبداعية صافية نقية . . فقد كلفت من مجلة « الآداب » يوما ان اطلب منه كتابة موضوع ، فحرت لاني لسم اعرف عنوانه من دليل التليفون فليس عنده تليفون وليس له مركز اداري . . وقد استقال كما عرفت من الجامعة . واخيرا عثرت على عنوانه من مجلة « الكاتب » التي يوافيها بالموضوعات التي تعن له تقييما للحظة التي نجتازها . وقالوا لي انه لا يقابل احدا ، بل عليك مراسلته رسميا . وكان . . ولكنه اعتذر ، فليس مثله من يكلف كما عرف عنه . ولكنه وعدني أن يوافي المجلة بمقالات يختارها هو .

وإذا رجعتا لموضوعنا الاصلي وهو التنقلات التي حدثت فسي قيادات المراكز الثقافية ، نقول : لا بأس اذا قبل أحد المفكرين لضرورة وطنية ان يترك فكره مؤقتا ويقبل منصباً اداريا . . وعلينا أن نعطيهم فرصة يدبر فيها منشأته . فاذا صادفه توفيق فعليه ان يستمر حتى تستقيم المنشأة . ولكننا نقلنا العالم الى مؤسسة المسرح قبل أن يتم الذي بدأه .

ان العالم في دار الكاتب حقق دفعة فكرية ملموسة . . ففي خلال فترة رئاسته من بداية عام ١٩٦٦ الى نهايته ، ارتفع مستوى ما تقدمه الدار . فقدمت مصنفات مختلفة ابداعية ونقدية أشاعت جوا من الثقة والتفاؤل ، وأفسحت مجالا رحبا للشباب ، الذين قدموا اتجاهات فكرية متضادة ، أبرزت الكثير من مواهبهم وامكانياتهم . وكان العالم في تخطيطه وقراراته متمسما بروح انسانية عامة لا تقف عند اتجاهه وتحتجز له .

فكان ضمن ما قدمته الدار من الأعمال الابدولوجية (جذور الاشتراكية الالمانية) و (العلم والحضارة) ، ومن الأعمال المحايدة (قصائد من برتولد بريخت) ، (صراع مع الماضي) ، (الخروج من التابوت) ، (علم الفلكلور) . ومما نشر للشباب (فوستوك يصل القمر) لمجيد طوبيا ، (مع السمسيمي) لحسين طنطاوي ، (الطريق والقلب الحائر) لاحمد سويلم .

كما انفردت الدار بنشر سلسلة كتب المعركة ، لتواكب الظروف السياسية . واكثر ما اهتم به العالم هو الخطة . فقد رسم خطة للدار للمرة الاولى ، وكانت موزعة على جميع المعارف والعلوم بنسب متفاوتة دون اغفال فرع منها . ومن المعروف أنه وضع قبل ندبه خطة عام ٦٧ - ٦٨ وهي التي سيتم تنفيذها الان .

وأهم معالم هذه الخطة انها تهتم بالفكر العقلي والفكر التقدمي ، وانها تتضمن توكيفا في التأليف وهذه ظاهرة جديدة . ومن ذلك مثلا كتاب (المنطق الجدلي عند هيغل) للدكتور زكريا ابراهيم ، والمؤلفات الكاملة لديستوفسكي ترجمة سامي الدروبي التي ستصدر في تسعة عشر جزءا . ثم أعمال جمال الدين الافغاني وغيرها .

وتستطيع أن تحدد فلسفة الخطة في مفهوم أساسي عام هو أن يعبر الكتاب العربي والمجلة العربية تعبيرا أصيلا عن الثورة التحريرية الاجتماعية والقومية في الوطن العربي كله . وأن يشارك الكتاب والمجلة مشاركة فعالة في دفع هذه الثورة وتعميقها تعجيلا لازالة العدوان ، والانتقال بمجتمع الجمهورية العربية المتحدة الى الاشتراكية اسهاما في انفتاح الثورة العربية الشاملة وتحقيق اهدافها العامة من تحرر واشتراكية ووحدة . على ان تحقيق هذا الهدف ، لا يعني التراخي عن ترقية الوجدان الثقافي بأشرف ما في التراث الانساني من ناحية وتعميقه بأرفع ما في تراثنا العربي القديم من ناحية أخرى ، بما يتفق واحتياجاتنا الحضارية والنضالية في هذه الرحلة بالذات (احياء التراث . ترجمة الأعمال الجيدة . اخراج مجلات متخصصة . الاهتمام

بسعة أفقه أن يضع نفسه في موقف التعاطف مع هذه النصوص . وقبله شاهدنا صلاح أبو سيف - عندما كان رئيسا للشركة العامة للإنتاج السينمائي العربي - يفكر مرتين قبل حرمان مخرج من اخراج فيلمه لانه في نظره ليس كفؤا لاجراخ هذا النوع من الافلام .

وحين اختير نجيب محفوظ وصلاح أبو سيف على أساس « وضع الانسان المناسب في المكان المناسب » تنأثرت الكلمات حول اختيارهما خاصة من أصحاب الأعمال المرفوضة الذين أشاعوا انهما (نجيب محفوظ وصلاح أبو سيف) يتصوران نفسيهما وقد أصبحا الكاتب والمخرج الوحيدين في مصر ، وكل ما عداهما جفاف .

ولحمود امين العالم نفسه موقف آخر . . فهو ملتزم بانجساره ايدلوجي واضح ومعروف ، وحين يوكل اليه عمل جماهيري ، فسان طاقاته لن تتجه الى انجاح العمل الذي وكل اليه فقط ، بل هو مطالب أيضا بانبات عدم التزامه بفكره الابدلوجي ، وبأن يقبل أعمالا لا تتفق مع اتجاهه ، وربما تخالف الاتجاه الابدلوجي الذي ارتضاه لنفسه .

وأقرب مثال على ما ذهبتا اليه نصريه لنا مجلة « الفكر المعاصر » هذا الشهر ، فقد سمح الدكتور زكي نجيب محمود رئيس تحرير المجلة ، وهو صاحب اتجاه فلسفي معين وان كان قد جعل شععار مجلته (فكر مفتوح لكل التجارب الانسانية) ، بنشر مقال قد يخالف فلسفة رئيس التحرير تحت عنوان « البرجمانية وسياسة المفامرة الاميركية » لشوقي جلال . . وبالرغم من ان نشر هذا المقال مطابق لشعار المجلة ، فهي تفتح صفحاتها كما يقول رئيس التحرير للفكرة ونقيضها « لان الحرية المكفولة لصاحب الفكر ، مكفولة مثلها لصاحب النقيض شريطة أن يكون المعارضان في الفكر متحدان في الغاية ، هادفين معا بالتعاون على القاء الضوء في طريق المواطن العربي فسي نهضته الراهنة » - نقول رغم هذا كله يرد رئيس التحرير على مقال « البرجمانية وسياسة المفامرة الاميركية » ليس في مقال نال لها مباشرة ، بل في استهلال العدد ، وفي المقال الاول من المجلة ، أي قبل أن يطالع القارئ المقال نفسه .

وكتب الدكتور تبريرا لذلك في الاستهلال يقول : « فكان لا بد لكاتب المقال الاول وهو رئيس تحرير هذه المجلة ألا يدع هذا الذي يظنه خطأ في الفهم ليشرب الى عقول القراء ومنهم طلبة ودارسون ومنهم مطالعون يريدون وجه الحقيقة وراء ما يقرأون . كان لا بد لرئيس التحرير وهو من المشتغلين بالفلسفة أولا أن يتلافى الضرر قبل وقوعه وأن يحتج أولا على أن تكون سوق السياسة ذات اثر في فهم المذاهب الفلسفية الى كل هذا الحد » .

والحقيقة ان اختطاف اناس ناجحين في مجالاتهم ووضعهم في مراكز ادارية سياسية ليست ناجحة على اطلاقها . فمن غير المجدي ولا العقول أن تكافئ مهندسا ناجحا دؤوبا على الاختراع بان نعينه رئيسا اداريا على مصنعه . ان مصنعه في هذه الحال سيخسر طاقات فرد خلاق كفاء . وحتى هذا المنصب لا يعتبر تشريفا لنجاح فرد خالق . وكذلك الامر اذ نرى ناقدا أو شاعرا ناجحا يضيف ويشري حركتنا الفكرية وهي في مسيس الحاجة الى اضافاته ، فنجمده ونقيسده بأغلال منصب اداري يحتاج الى كفاءات أخرى . ولعل لدينا الكثيرين من الاداريين الذين خلقوا لهذا العمل الذي يحفل بالروتين .

ومن المؤسف اننا حيننا باتباع هذا المنهج على الكثيرين من مفكرينا وعلى حياتنا الفكرية نفسها ، وتسرب ذلك الى كثير من طاقاتنا الخلاقة . . على الرغم من وجود معهد للادارة ومعهد عال للادارة العليا . . تخرج منه كثير من الاداريين .

لقد قالوا قديما اننا حتى لو دفعنا لصا ليعقب لصا ، لسا استطاع أن يمسك به ، وكل الذي يستطيع أن يقف عليه هو معرفة أسلوب اللص الاول في السرقة . . .

ولعل البعض يتساءل : لماذا يقبل هؤلاء المفكرون والخلاقون هذه المناصب ؟ أجريا وراء رواسب بورجوازية ؟ أم ان ظروفهم القاسية

للتاريخ ، كما يقول دارسو مسرح برنارد الذي كان يعبر في مسرحياته عن الحرب الدائرة بين إيرلندا وانكلترا ، ثم يسكت بعد انتهائهما الحرب ؟

لقد حدث عندنا في المحيط الضيق مثل هذه التجربة ، فمسرحية الشهيد لعلي أمين التي قدمها المسرح الحديث أثناء المعركة لاقى نجاحا كبيرا ، وعندما أعيد عرضها بعد النكسة في الاسكندرية ، لم تلاق نفس النجاح .

والحق ان هناك بعض النفوس التي سلمت من هذا التردى في دوامة العجيرة ، فنظرت في اتجاه واحد وللامام ولم تنظر خلفها ، فكتبت رأيا وقولها في الموقف الراهن مثل مسرحية « المسامير » التي نحن بصدها ، والتي نشرت اخيرا . فهي تؤكد ضرورة استمرار الثورة على جميع المستويات حتى نهزم الهزيمة . قال عنها أحد النقاد : (انها تشير الى الطريق الصحيح الذي يجب ان يلتزم به الاديب في ظروف التحدي الخطير الذي نواجهه ، فالمؤلف يقول في هذه المسرحية كلمته بشجاعة وبفن ، مشتا ان لا تنافر هناك بين الفن والصراحة) . وفي رأينا ان فضل مسرحية « المسامير » الاكبر هو تحريك الركود الذي سكنت اليه حياتنا النغدية والابداعية . وقد حولت هذه المسرحية الى حلقات في برنامج اذاعة صوت العرب ، وكتب اكثر من مقال يطالب بان تكون هذه المسرحية افتتاحية الموسم المسرحي . وظهرت لها دراستان نقديتان خلاف المقدمة . احدهما بمجلة « الكاتب » والاخرى بمجلة « المسرح » .

وفي شهرات المسرح بمجلة « الكاتب » كتب بهاء الطاهر تحت عنوان « المسامير في وقتها » مقالا بدأه بداية حماسية للمسرحية ولام من لزوما الصمت قائلا : « تكسر مسرحية المسامير حدة الصمت المخيف الذي خيم على الحياة الادبية والمسرحية ، ريثما يتفرغ الادباء (لاستيعاب التجربة) وهو التعبير الذي أصبح تبريرا للتبلد والخوف من المبادرة . والصمم ازاء نداء الواجب البديهي . ثم قال : (ان كل الدلائل تشير الى الرغبة في تعميق الديمقراطية باعتبارها وسيلة لاطلاق كل طاقات الشعب ، ومن ثم لتجاوز النكسة . وواجب الاديب المثقف هو ان يساهم في تأكيد هذا المفهوم لا ان ينتظر وصوله الى مده ، ان يلح لا ان يتفرج وينتظر . ولكن بما ان موقف معظم ادبائنا حتى الان كان هو التامل الرصين فان احدا لا يستطيع اعفاءهم من المسؤولية) . ولانصار (استيعاب التجربة حتى يأتي التعبير ناضجا) اشار بهاء الى ان كثيرا من الاعمال الادبية والمسرحية التي احيوها كانت استجابة مباشرة للتجارب العصبية في تاريخ الامم مثل « افول القمر » لستاينيك ، و « لمن تدق الاجراس » لهمنقواي ، و « نجمة » لكاتب ياسين .

وبينما بدأ مقال بهاء بالحماس والالحاح على قطع لا مبالاة كتابناه وهي لهجة الشباب القلق الشغوف بالنصر ، يأتي مقال الدكتور عبد القادر القط في مجلة « المسرح » هادنا متائيا يتخطى هذا النداء من الخارج ليأتي به من داخل المسرحية وعلى لسان بطلها الفلاح (عبد الله) . :

(الرصاص بتاعهم طير الحمام م الابراج ، وجزمهم فطست الزرع في الفيط ، ودخانهم خنق المواشي ، ونارهم حرقت الاجران . كل حاجة حلوة في بلدنا يا صاعنا يا حتضيع . الزرع الاخضر اللي كان فارش على وش الارض راح ، زرعوا مسامير يا رجاله . مسامير . . اذا مشينا بنمشي على المسامير ، واذا كلنا بناكل مسامير ، واذا أخذنا نفسنا المسامير واقفة في حلقنا . كل واحد منا تخنقه وتموته . يا رجاله ايدينا في ايدين بعض . تغلق المسامير م الارض . وترجع تخضر . تسكت الرصاص عشان الحمام يرجع أبراجه واليما يرجع لعشه . ايدينا في ايدين بعض) .

واظن ان موضوع المسرحية كما هو واضح من نداء هذا الفلاح ومن نداء الكتاب بضرورة ان نبدأ بها موسمنا المسرحي - كترويج لرأي

بالدراسات النظرية العربية والاشتراكية وبشكل خاص قضية فلسطين . الاهتمام بالثقافة العلمية . تنشيط الحركة الادبية . العناية بالجيل الجديد من الادباء . الاهتمام بثقافة الطفل . نشر الثقافة الفنية ، خاصة الفنون التشكيلية ، والاهتمام بنشر انتاج الكتاب العرب جميعا . اصدار طبعات شعبية . الاهتمام بتبسيط الثقافة للمستويات البسيطة . ترجمة الاعمال العربية الى اللغتين الفرنسية والانكليزية) . ويلاحظ ايضا ان الخطة بجانب انها تضمنت عشرين ديوانا ، قد خطت للسلاسل الدورية وغير الدورية مقدما ، ومن السلاسل الدورية تراث الانسانية . المكتبة الثقافية . اعلام العرب . اعلام الفكر (التي لم تصدر بعد) . ومن السلاسل غير الدورية : الفكر السياسي والاشتراكي . الادب العربي الحديث . روائع الادب العالمي ، وقد حوت ايضا روائع من ادب آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

وقد كتب الاستاذ احمد بهاء الدين في مجلة « المصور » مرجحا بصدر أول مجلد من أعمال دستوفسكي الكاملة باللغة العربية ، فقال : (ان أي مبلغ ينفق على نقل الفكر الانساني الاساسي في كل الفنون والعلوم الى اللغة العربية يعادل انشاء جامعة جديدة بالضبط . وهذا الاتجاه وان بدأ في الاول باهظ التكاليف ، الا انه مريح ماديا في المدى الطويل . فحين تنفق مؤسسات النشر على ترجمة عميل سيعيش مئات السنين ترجمة ممتازة ونهائية يقوم بها أحد الخبراء الكفاء ، سوف تصبح هذه الترجمة النهائية التي تطبع باللغة العربية مئات السنين ، ستصبح مثل كتب التراث العربي التي تطبع سنة بعد سنة ، لحاجة الفكر اليها) . ثم وجه في آخر المقال : (تهنئي للاستاذ سامي الدروبي وللستاذ العالم الذي كان له فضل بدء هذه الفكرة وان كان قد ترك مؤسسة النشر هذا الاسبوع ليشرف على مؤسسة المسرح . وأرجو أن تكون نتيجة هذه التجربة مشجعة لان تبدأ وزارة الثقافة فوراً في التعاقد مع كبار المثقفين لترجمة أهم الاعمال الانسانية طبقا لخطة مدروسة) .

وقد عبرت مجلة « صباح الخير » عن أسف المثقفين لنقل العالم لمؤسسة المسرح ، ليس لانه مركز لا يليق به بل حفاظا على ما أنبتته العالم من زرع بدأ يؤتي اكله .

((المسامير)) بين النقاد

بالرغم من ان العمل الاداري قد غمر الاستاذ العالم الى الذروة ، فقد استطاع ان يفلت بنفسه لحظات ، ليكتب مقدمة خاطفة لمسرحية « المسامير » لسعد الدين وهبه حيث قال معتذرا في سطورها الاولى : (وحسبي من هذه الكلمة التي أقدم بها المسرحية ان تكون اقرب الى التحية منها الى التقديم الذي أتمناه) وقد دفع بها العالم السى الطبعة حتى توفي الامور بما عبر فيها مؤلفها عن رأيه في المشكلة التي واجهتنا بعد النكسة ، وكيفية الخروج منها ، وكسر بذلك الروتين الذي كان سيؤخرها حتى تأخذ دورها . وقد نار بسبب « المسامير » سؤال : أين انتاج المفكرين في الحركة ؟

ونعتقد انه من الاجحاف بمكان ان نطلق الاحكام الكلية على كتابنا ونتهمهم بانهم يقفون موقف المشرج . وقد يكون من الانصاف ان نمعن النظر في ملاحظة هذه النكسة ونعرف ان استيعابها من جميع زواياها يتطلب قدرات مركبة قد لا تتوافر لدى كثير من فنانينا الحساسين ، الذين بددت طاقاتهم صدمة النكسة نفسها ، فجعلت من الصعوبة استيعابها وعكسها . هذه حقيقة لا يستهان بها . هل يصدر عن كتاباتهم عما يسف نفوسهم وعما يحسون به كامل للخروج من النكسة وذهاب الى ضرورة الحرب - رغم ان هنالك كتابا آخرين يفضلون سياسة الازفة الدبلوماسية نظرا لامكانياتنا الحالية - فتخرج اعمالهم اعمال لحظة متغيرة لا يبقى منها بعد ذلك شيء

الطويلة ذات اللغة التي أريد بها أن تكون شاعرية فإن نوعا من القلق يصيب المسرحية . فهناك أجزاء كثيرة من هذه المونولوجات تشوبها العاطفية السهلة والبلاغة المصطنعة التي تنجح المسرحية في تجنبها معظم الوقت) .

وحول النهاية اتفق الدكتور القط وبهاء على ضرورة حذفها . فقال الدكتور القط : (هكذا يظل المشهد الأخير قائما بنفسه قد يشير حماسة المشاهدين وأعجابهم ولكنه لا يبرر هذا الانفصال بين الواقع والرمز ولا ذلك التبذير في الحوار والحركة المسرحية) . وقال بهاء : (ولو كان الأمر بيدي لحذفت مشهد حلم فاطمة الختامي ولاخترت الكثير من مونولوجاتها الطويلة وما يشابهها . وذلك لكي يتحقق للمسرحية أحكام التركيز الذي تتمتع به في معظمها) .

ولعل إجماع النقاد على أن دور فاطمة قد فاق دور البطل الذي كان من المفروض أن يجسم الرمز ، يرجع إلى أن سعد وهبه يكتب مسرحيته وفي مخيلته أن البطلة هي المثلة سميحة أيوب وقد لعبته فعلا عندما حول إلى حلقات إذاعية وفي مسرحيات كثيرة كان آخرها مسرحية « الفتى مهران » لعبد الرحمن الشراقوي ، وقد صور الشراقوي البطل (مهران) مريضا كما صور سعد وهبه أيضا بطله (عبد الله) مريضا . . لكن الشراقوي كان يصور مهران مريضا بقصد أن كل فكرة تحمل في طياتها بذور فنائها بدليل أن مهران مات في نهاية المسرحية . لكن عبد الله في « المسامير » لم يمض بل ظل يكافح . . وتفتت فاطمة بكفاحه في آخر المسرحية . وهذا يوضح أن ليس لمرض عبد الله ضرورة في مسرحية « المسامير » .

ولنا في الختام ملاحظة جانبية : فقد فوجئنا في نهاية المسرحية (ص ١٧٠) بزيدان ومعه رشدان ناظر عزبته ، وهما يدفعا فاطمة خارج المسرح . ونحن نتساءل : ألم يقف رشدان بعد مشهد الجدل بجانب الفلاحين ، محققا قولة نهرو : « إذا رفض أعوان الطاغية حمل السلاح ضد المظطهدين فقد قامت الثورة » ؟ وهنا نجد رشدان قد رجع مرة أخرى إلى الطاغية زيدان بك . وهذا ذو دلالة سيئة . . وأرجو أن يكون في ذلك خطأ مطبعي ، لا سيما وأن رشدان قد اختفى بالفعل بعد مشهد الجدل .

عائدة الشريف

القاهرة

صدر حديثا

نائر وحب

ديوان شعر

للدكتور أبو القاسم سعد الله

دار الآداب

حر قيل في اللحظات الحرجة التي يمر بها بلدنا - هو موضوع اللحظة التي نعانينا بعد النكسة وضرورة كسر أغلالها ، وأن استعارت لنفسها ثوب ثورة ١٩١٩ حتى تتخطى به إطار التسجيلية الواضح المباشر .

وإذا كان سعد وهبه قد رجع الفهري لثورة ١٩١٩ لتشابهها - بتبديل الانكليز بإسرائيل - مع ظروفنا الآن ، فقد اختار مكانها قرية الكفر لما يمكن أن تحويه هذه القرية من عناصر يمكن الرمز بها لطبقائنا الحالية : الفلاحين في نظرهم للحرب بين مقدم عليها ومتحمس وبين متخوف منها ومتحير . ونساء القرية اللواتي يخشين الترمل والتكل بعد أن فقد بعضهن بالفعل أزواجا وأولادا أو أخوة . وهناك أيضا زيدان بك وأعوانه من ملاك الأرض وناظر عزبته رشدان الذين وضعوا أيديهم علانية في أيدي الانكليز . وفي وسطهم المدرس رمزي السذي يمثل المثقف الذي يظن أن حل المشاكل يأتي بالناقشة .

والاختلاف الذي نراه نحن في مستويات هذه القرية ينحصر في زيدان بك وأعوانه . هذه الطبقة كانت موجودة بالفعل في ثورة ١٩١٩ ولكني أشك في أثرها الفعلي في النكسة الأخيرة . وأظن أن من أكبر ما أحدثته الثورة في نفوس الطبقات أنها أعلنت الحس القومي فوق الحس الطبقي في أوقات الشدة على الأقل .

وقد اختلفت المآلات والمقدمة حول بعض مفاهيم المسرحية وانفتحت حول بعضها الآخر . . وكان أوضح الخلافات حول (مشهد الجدل) ، فكتب العالم في المقدمة : (أنهم يفرضون على القرية عددا معيناً من الإهالي لكي يجلد كل يوم ولكنهم يعفون كل من يملك أرضاً ، كما يعفون الموظفين والتعلمين إذ أنهم يدركون أن أعداءهم الحقيقيين هم جماهير الشعب الكادح أصحاب المصلحة الحقيقية في الاستقلال الحقيقي)

واعترض الدكتور القط في مقاله على تصوير هذا المشهد (كانت استجاباتهم المستكنة لهذه العقوبة شيئاً غريباً على طبيعة الشوار . فقد يعجز الثائر على الخلاص من هذه المحنة ولكنه يحاول على الأقل أن يتجنبها ، فاذا فشل فإنه يعانيها بروح من التمرد والاستعداد للثأر) .

ولكن بهاء طاهر مر على هذا المشهد على أنه مبرر للغاية . . موافقا بذلك « فرانز فانون » الذي يقول : (أن المظطه يستمد توريته من العنف الذي ينصب عليه من المظطه) وأكد بهاء مفهومه هذا عندما قال : (وتصهر محنة الجدل والفهر الكثيرين من أمثال رمزي فيعود هو أيضا ومعه علوان ومنصور لكي يقفوا مع عبد الله وباقي الفلاحين) .

واجتمعت كلمة النقاد على أن فاطمة زوجة الثائر عبد الله أقوى وأشد وأليق لتعطي البطولة من الثائر نفسه . فقد كتب العالم : (ولا تنتهي رحلة المسرحية إلى انتصار ساذج وإنما تنتهي بنوء حارة تعلن مواصلة النضال ، وتثاقب النوءة على لسان فاطمة) . وكتب الدكتور القط يقول : « ف شخصية عبد الله في أغلب مواطن المسرحية شخصية ضعيفة تفتقد القدرة على الإقناع والطاقة الكبيرة والإيجابية وسائر الصفات التي تجعله صالحا لتحمل هذا الرمز من زوجته فاطمة) . ثم ذكر الدكتور القط ملاحظة حساسة هي أن حوارها يناقض أحيانا صورتها الشاعرية المطلقة في نهاية المسرحية كقولها ردا على الخفير : (جاك جالوص طين لما ينحشر في زورك ما توعى تطلع نفسك) .

وكتب بهاء : (كذلك فإن شخصية فاطمة تستدعي أن نتوقف عندها قليلا . فقد جعل سعد الدين وهبه من هذه الشخصية ركيزة ومحورا أساسيا في المسرحية لبلورة الماني التي يريد أن يؤكد لها) ، وفي رأي بهاء أن شخصية فاطمة تبدو مضعفة فهي إبعادها الواقعية باعتبارها زوجة فلاحه لعبد الله المجاهد . وفي هذه الحدود الواقعية يقبل الإنسان جرأتها ووعيها بل وفصاحتها . ولكن حين نتخطى عن هذا الوضع المحدد لتصبح أكثر من حجمها وحين تشرع في المونولوجات